## الدرس الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين و العاقبة للمتقين ، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،و أشهد أن محمدًا عبده و رسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله و أصحابه أجمعين .

الطالب : الحمد لله رب العالمين وصلى الله و بارك وأنعم على نبينا محمد و على آله و صحبه أجمعين .

قال الشيخ العلامة عبد الرحمن ابن ناصر السعدي –رحمه الله تعالى – في كتابه أصول العقائد الدينية ،قال :حد التوحيد الجامع لأنواعه : هو اعتقاد العبد و إيمانه بتفرد الله بصفات الكمال و إفراده بأنواع العبادة ،فدخل في هذا توحيد الربوبية :الذي هو اعتقاد انفراد الرب بالخلق و الرزق و أنواع التدبير، وتوحيد الأسماء و الصفات :وهو إثبات ما أثبته لنفسه و أثبته له رسوله من الأسماء الحسنى و الصفات الكاملة العليا ، من غير تشبيه و لا تمثيل ،و من غير تحريف و لا تعطيل ،و توحيد الألوهية و العبادة ،و هو إفراده وحده بأجناس العبادة و أنواعها و أفرادها من غير إشراك به في شيء منها مع اعتقاد كمال ألوهيته .

الشيخ : قال المصنف–رحمه الله تعالى – الشيخ عبد الرحمن ابن سعدي : الأصل الأول التوحيد ثم بيّن حد التوحيد ،قال حد التوحيد الجامع لأنواعه ،هنا كما سبق الإشارة أن كلمة الشيخ –رحمه الله – هذه تدل على أن التوحيد أنواع ،و أنه قصد –رحمه الله تعالى – ذكر حد يجمع أنواع التوحيد ،و إلا بسط أنواع التوحيد و ذكر بعض التفاصيل المتعلقة بهذه الأنواع سيأتي عند المصنف–رحمه الله تعالى – و إنما أراد أن يبدأ بحد يجمع أنواع التوحيد الثلاثة الآتي ذكرها عنده –رحمه الله تعالى – قال : هو اعتقاد العبد وإيمانه بتفرد الله بصفات الكمال ،و إفراده بأنواع العبادة ،فهذا حد يجمع أنواع التوحيد الثلاثة، وقد سبق البيان أن التوحيد نوعان توحيد علمي ،وتوحيد عملي ، وأن التوحيد العلمي يندرج تحته توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء و الصفات ، والتوحيد العملي هو توحيد العبادة و يقال له توحيد الألوهية أو الإلهية ،فحد التوحيد الذي يجمع هذه الأنواع الثلاثة هو ما ذكره – رحمه الله تعالى – بقوله : اعتقاد العبد وإيمانه بتفرد الله بصفات الكمال، وهذا يدخل تحته نوعي التوحيد توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء و الصفات ،قال : وإفراده بأنواع العبادة هذا هو توحيد العبادة ،ثم بعد أن ذكر –رحمه الله–الحد الجامع للتوحيد أخذ يبين أن أنواع التوحيد داخلة في هذا الحد و أن هذا الحد جامع لها ،فبدأ أولا

بتوحيد الربوبية ،قال :دخل في هذا :أي في هذا الأصل العظيم الذي سبق بيان حده توحيد الربوبية ،والربوبية هي صفة الله عز و جل الدال عليها اسمه جل وعلا الرب ؛لأن الرب أي ذو الربوبية على خلقه أجمعين ،فتوحيد الربوبية إيمان العبد باسم الله تبارك وتعالى الرب و بما يدل عليه هذا الاسم من ربوبيته تبارك وتعالى على خلقه ، والربوبية تشمل أمور ذكرها أهل العلم وهي الخلق رب هذه المخلوقات وهو الذي أوجدها من العدم ،و الملك رب هذه المخلوقات هو المالك لها لا شريك له في الملك كما قال جل وعلا { قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ} وقال :{ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ } فالملك كله للرب ،وهو جل و علا المتفرد وحده بالخلق ،و أيضا التصرف و التدبير بيده تبارك و تعالى ،و جميع مخلوقاته طوع أمره ، مسخرة بتسخيره ،مدبرة بتدبيره ، مشيئته نافذة ،وقدرته تبارك و تعالى شاملة إن الله على كل شيء قدير ، وما شاء الله كان و ما لم يشأ لم يكن لأن الخلق خلقه والأمر أمره و الملك ملكه تبارك و تعالى ، لا معقب لحكمه و لا رآد لقضائه جل و علا ، إذن ربوبية الله الإيمان بها يعني إيمان العبد بأن الله عز وجل هو المالك وحده ،وهو الخالق وحده ،و هو المدبر للمخلوقات وحده لا شريك له في شيء من ذلك ،فمن أتى بهذا القدر يكون وحّد الله عز و جل في ربوبيته ،أو آمن بربوبية الله ،لكن هذا القدر وحده لا يكفي للدخول في الإسلام ولا ينجي يوم القيامة من النار، لا يكفي للإنسان أن يدخل في الإسلام أن يقر بأن الله هو الرب الخالق الرازق المنعم المتصرف ،هذا وحده لا يكفي للدخول في الإسلام ولا ينجي يوم القيامة من النار ، فتوحيد الربوبية وحده لا يكفي ولا ينجي ، لا يكفي أي في الدخول في الإسلام ،و لا ينجي أي من عذاب الله و عقابه حتى يأتي العبد بلازمه وهو توحيد الله عز و جل في الألوهية بإفراد العبادة بجميع أنواعها لله تبارك و تعالى ،قال –رحمه الله – : فدخل في هذا توحيد الربوبية الذي هو اعتقاد انفراد الرب بالخلق والرزق وأنواع التدبير، انفراد الرب بالخلق ،أي :أنه سبحانه و تعالى هو الخالق لهذه المخلوقات لا شريك له في ذلك {هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم} فهو تبارك و تعالى المتفرد بالخلق لا شريك له في ذلك ،و أيضا الرزق رزق المخلوقات و الإنعام عليها { وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُهَا } فهو جل وعلا المتفرد بالرزق لا شريك له ،قال :وأنواع التدبيرات :أي التصرف في هذا الكون والرزق هو من جملة التصرف و التدبير لهذا الكون و لهذا ذكر نوعا من أنواع تدبيره تبارك و تعالى و تسخيره ثم عمم ،ولهذا فإن العطف في قوله وأنواع التدبيرات ،عطف العام على الخاص ؛لأنه خصّ أولا ثم ذكر العموم ، ويبقى هنا مما يدخل في الربوبية الملك ،كونه تبارك وتعالى المالك لهذا الكون لا شريك له في ذلك ،كما سبق الإشارة إلى بعض الأدلة في هذا المعنى ،فالله عز وجل الرب الذي له الربوبية ،أي الذي تفرد بالخلق وتفرد بالملك وتفرد بأنواع التدبيرات

ومنها الرزق ،و الرزق بفتح الراء فعل الله عز و جل ،و الرزق بكسرها أي النعمة التي يمن بها تبارك وتعالى على عبده ،ولهذا الصحيح أن يُقال هنا الرزق بفتح الراء أي فعل الله ،أما بكسرها فهو مفعوله المنفصل عنه مخلوقه الذي أوجده تبارك و تعالى من أنواع النعم و صنوف المنن التي يوليها على عباده ويمن بها على عباده تبارك وتعالى بها ، قال : توحيد الربوبية الذي هو اعتقاد انفراد الرب بالخلق و الرزق و أنواع التدبيرات، هذا النوع الأول ،قال : وتوحيد الأسماء و الصفات :أي و يدخل فيما سبق توحيد الأسماء والصفات ،أي: توحيد الله تبارك و تعالى في أسمائه و صفاته والله جل وعلا له الأسماء الحسنى والصفات العليا ولا يكون مؤمنًا بالله إلا من آمن بأسمائه و صفاته الواردة في كتابه و سنة رسوله صلوات الله و سلامه ، قال : وتوحيد الأسماء و الصفات وهو إثبات ما أثبته لنفسه و أثبته له رسوله صلى الله عليه و سلم من الأسماء الحسنى و الصفات الكاملة العليا من غير تشبيه ولا تمثيل و من غير تحريف ولا تعطيل ،هذا حد لتوحيد الأسماء و الصفات ذكره –رحمه الله – بهذه الخلاصة ،قال : توحيد الأسماء و الصفات إثبات ما أثبته الله لنفسه ، وما أثبته له رسوله صلى الله عليه و سلم من الأسماء الحسنى و الصفات العليا ، هذا هو توحيد الأسماء و الصفات ، يقول الإمام أحمد –رحمه الله – : و نصِفُ الله بما وصف به نفسه ،وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه و سلم لا نتجاوز القرآن و الحديث ،فتوحيد الأسماء و الصفات أن تثبت لله تبارك و تعالى أسماؤه الحسنى وصفاته العليا الثابتة في كتابه و سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، قال: من غير تحريف و لا تعطيل ،ومن غير تكييف و لا تمثيل ، وهذه الأمور الأربعة هي محاذير يجب على من آمن بأسماء الله و صفاته أن يحذر منها ،هذه الأمور الأربعة التي ذكرها الشيخ–رحمه الله– محاذير يجب على من آمن بأسماء الله و صفاته أن يكون منها على حذر ،يحذر المؤمن بأسماء الله وصفاته من التحريف ،و يحذر من التعطيل و يحذر من التكييف و يحذر من التمثيل، وأي من هذه الأمور الأربعة تعد إلحادًا في أسماء الله وصفاته ،و الله يقول :{ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ} فالتحريف والتعطيل والتكييف والتمثيل كل ذلك إلحاد في أسماء الله و صفاته و الواجب على من آمن بأسماء الله و صفاته أن يحذر من هذه الأمور الأربعة أشد الحذر، وقد درج أئمة السلف و علماء المسلمين في كتب العقائد المبنية على كتاب الله و سنة نبيه صلى الله عليه و سلم على التحذير من هذه الأمور الأربعة عند ذكر الإيمان بأسماء الله و صفاته ،لماذا؟ لأن أمور تورط فيها فرق عديدة من فرق الضلال ،منهم من أخذ في باب الأسماء و الصفات مأخذ التحريف، و منهم من أخذ مأخذ التعطيل ،و منهم من أخذ مأخذ التمثيل ، و منهم من أخذ مأخذ التشبيه ، وكل ذلك إلحاد في أسماء الله و صفاته ، و الواجب على المسلم بالأسماء و الصفات الواردة في السنة ،و أن ..كما جاءت ،و أن يؤمن بها كما

وردت ،و أن يحذر أشد الحذر من هذه الأمور الأربعة ،أما التحريف فهو التغيير والتبديل ،حرَف الشيء عن وجهه ،أي: أماله و عدل به عن وجهه ، فالتحريف في أسماء الله و صفاته هو العدول بها سواء بألفاظها أو بمعانيها عن الحق الثابت لها هذا هو التحريف ، التحريف هو العدول بأسماء الله وصفاته عن الحق الثابت لها سواء كان ذلك في الألفاظ أو في المعاني ،ولهذا قال العلماء التحريف نوعان لفظي و معنوي ، والواجب الحذر من التحريف بنوعيه اللفظي والمعنوي ،ونحن عرفنا أن التحريف في الأسماء و الصفات أن يعدل الإنسان بها عن الحق الثابت لها في الألفاظ بأن يحاول الإنسان أن يغير في ألفاظها بزيادة كلمة أو زيادة حرف أو نقصان حرف أو تغيير حركة إعرابية أو غير إعرابية بحيث يجمع تغير اللفظ تغير المعنى فيكون حرّف اللفظ بإمالته عن الحق الثابت له الحق الثابت لألفاظ الأسماء و الصفات أن ..كما جاءت و أن يؤمن بها كما وردت ، لا يُغير في ألفاظها و لا يُغير أيضا في معانيها ،و التحريف المعنوي بأن يعطى الاسم أو تعطى الصفة من صفات الله تبارك و تعالى معنى اسم آخر أو معنى صفة أخرى هذا يسمى عند أهل العلم تحريف معنوي، مثلا قول الله تبارك وتعالى :{ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه : ٥] {استوى} هذه الكلمة كلمة عربية واضحة المعنى معروفة المدلول في لغة العرب و هي كلمة تعني العلو والارتفاع ،استوى على العرش أي علا و ارتفع على العرش هذا معناها ، و هذا مدلولها في لغة العرب ،فمن جاء بمعنى آخر مستحدث و جعله معنى لهذه الكلمة فيكون حرّف تحريفًا معنويًا ،كمن يقول استوى على العرش أي استولى عليه ،هذا تحريف معنوي، و لما طولب هؤلاء الذين قالوا إن استوى معناها استولى لما طولبوا بمستند وشاهد من لغة العرب لم يجدوا شاهدا و لا دليلا إلا بيتًا واحدًا، و يُقال في البيت أنه قد دخله تحريف أيضا، البيت الذي هو عمدة لهم في هذا الباب يُقال أنه قد دخله تحريف ،ولو كان سالمًا من التحريف لا حجة لهم فيه

قد استوى بشر على العراق  من غير سيف و لا دم مهراق

و هذا يمدح فيه الشاعر أخو عبد الملك ابن مروان يُقال له بشر يمدحه عندما دخل العراق و استوى على سرير الملك ، فمدحه بذلك بهذا البيت قال قد استوى بشرٌ على العراق ،و قالوا المعنى أي استولى على العراق ،و الحقيقة أن البيت حجة عليهم لا لهم لأن بشر دخل العراق و استوى على سرير الملك و ارتفع عليه فهو حجة عليهم لا لهم ،وهو عمدتهم في هذا الباب ليس لهم مستند آخر غيره ،و يُقال أن البيت أيضًا دخله تحريف و تصحيف كما أشار إلى ذلك بعض أهل العلم ،فالشاهد أن التحريف نوعان :تحريف في الألفاظ ،و تحريف في

المعاني، و كل منهما يجب أن يحذر منهما المسلم غاية الحذر عندما يثبت أسماء الله تبارك وتعالى، فيثبت أسماء الله لله دون أن يحرف لا تحريفًا لفظيًا و لا تحريفًا معنويًا، قال :و لا تعطيل ،و التعطيل هو النفي و منه قوله تعالى :{ وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ} و يُقال أيضًا :جيد معطلة أي :خالية من الحلي ، فتعطيل أسماء الله و صفاته بنفيها و جحدها و عدم الإيمان بها وهو كما بين أهل العلم تعطيل كلي و تعطيل جزئي ،وفي كل منهما وقع من وقع من أهل الضلال ، تعطيل كلي بأن ينفي جميع الأسماء و الصفات ، وتعطيل جزئي بأن يثبت بعضًا و ينفي بعضًا مثل ما وقع في ذلك أيضا بعض أهل الأهواء والضلال ،و الواجب الحذر من ذلك ،نثبت أسماء الله تبارك و تعالى لله و لا نعطل شيئًا منها ، لا نعطل الأسماء و لا نعطل أيضا الصفات، ثم ذكر الأمر الثالث قال : ومن غير تكييف و من غير تشبيه أو من غير تمثيل وهما بمعنى واحد ،قال الله تعالى : { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ }و قال جل و علا :{ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً } ،و التشبيه أو التمثيل باطل ،لا يُشبه الله تبارك و تعالى بخلقه و لا يُشبه أيضا أحدًا من خلقه به ،و لهذا قال العلماء : التشبيه نوعان : تشبيه للخالق بالمخلوق ،و تشبيه للمخلوق بالخالق ،تشبيه للخالق بالمخلوق بأن يُقاس الخالق تنزه و تقدس بالمخلوق ،و تُجعل صفاته تبارك و تعالى المختصة به كصفات المخلوقين كقول من يقول من أهل الضلال : يد الله كأيدينا ،أو سمعه كسمعنا أو بصره كبصرنا ،وهذا تشبيه وهو كفر بالله تبارك و تعالى و إلحاد في أسمائه و صفاته ؛لأن أسماء الله تبارك و تعالى لله و صفاته له و هي مختصة به تليق بجلاله و كماله و عظمته ،و لا يماثله في شيء منها أحد من خلقه و لا يماثل هو تبارك و تعالى في شيء من صفاته أحدًا من مخلوقاته ، فالتشبيه أو التمثيل باطل سواء تشبيه المخلوق بالخالق أو تشبيه الخالق بالمخلوق ،التشبيه بنوعيه باطل ،و لهذا قال –رحمه الله –:و لا تمثيل أو لا تشبيه ،و الأمر الرابع التكييف ما ذكره الشيخ ،الشيخ ذكر التشبيه و التمثيل والتحريف والتعطيل ،و الصواب أن يُذكر التكييف محذورًا رابعًا ؛لأن التشبيه و التمثيل هما بمعنى واحد بينهما فرق دقيق ينبه عليه أهل العلم لكن يُعبر بكل واحد منهما عن الآخر ،و المحذور الرابع التكييف يُضاف إلى ما ذكره –رحمه الله –المحذور الرابع التكييف ،و التكييف هو محاولة معرفة كيفية صفات الله تبارك و تعالى و لهذا قال بعض أهل العلم :التكييف هو السؤال عن صفات الله بكيف؟ ،مثلا يقول القائل كيف ينزل إلى السماء الدنيا ؟ أو كيف استوائه ؟ أو كيف يده ؟ أو كيف سمعه ؟ هذه أسئلة باطلة و محرمة و لا يجوز لأحد أن يسأل عن كيفية صفات الله تبارك و تعالى ،و لهذا لما قال رجل للإمام مالك –رحمه الله –:الرحمن على العرش استوى }كيف استوى ؟ غضب الإمام مالك –رحمه الله – و علاه ..أي: تصبب عرقًا ،وقال : الاستواء معلوم و الكيف مجهول و الإيمان به واجب و السؤال عنه بدعة ،وقوله–رحمه الله – و السؤال عنه بدعة

،أي: عن كيفية صفات الله تبارك و تعالى ،فالأمر مبتدع و لا يُعرف عن أحد من الصحابة أو التابعين لهم بإحسان أو أهل الفضل و العلم أنهم خاضوا في صفات الله بكيف ؟ والله تبارك و تعالى أخبرنا عن صفاته و لم يخبرنا عن كيفيتها و نبيه عليه الصلاة و السلام أخبرنا عن صفات الله و لم يخبرنا عن كيفيتها ،و لهذا إذا قال قائل :كيف؟ يسأل عن شيء من صفات الله ،يُجاب بهذا الجواب ،يُقال له الله تبارك و تعالى أخبرنا عن الصفات فنؤمن بها ،ولم يخبرنا عن كيفيتها ،و لهذا يقول أهل العلم :إثبات أهل السنة للصفات إثبات وجود لا إثبات تكييف، عندما نثبت السمع أو البصر أو اليد أو الاستواء أو النزول أو غيرها من صفات الله تبارك و تعالى هذا إثبات وجود لا إثبات تكييف؛ لأن كيفيتها لا نعرفها الله أعلم بها ، أخبرنا ربنا بهذه الصفات فنؤمن بها ولم يخبرنا بكيفيتها فنسكت عن ذلك ،ورسولنا عليه الصلاة و السلام أخبرنا بهذه الصفات فنؤمن بها و لم يخبرنا بكيفيتها فنسكت عن ذلك، و إذا تفكر المخلوق وجد أنه عاجز عن معرفة كيفية كثير من المخلوقات فكيف به يتطاول في الخوض في معرفة كيفية خالقها ؟! و لهذا يُذكر أن عبد الرحمن ابن مهدي من علماء السلف–رحمه الله – لقي شابًا ابتلي بالخوض في كيفية صفات الله تبارك و تعالى فقال له عبد الرحمن ابن مهدي–رحمه الله –: دعنا نخوض أو ننظر في كيفية بعض المخلوقات فإن عرفناها انتقلنا إلى كيفية خالقها ،و إن عجزنا عن معرفتها عن معرفة كيفيتها فنحن عن معرفة كيفية خالقها صفات خالقها أعجز ، فوافق الغلام ،قال له: اخبرني عن ملك من الملائكة له ست مئة جناح كيف هذه الجنحة ؟ وذكر الحديث أن النبي عليه الصلاة والسلام رأى جبريل و له ست مئة جناح و قد سد الأفق ،قال أخبرني عن هذه الأجنحة كيفيتها كيف يطير بها؟ فلم ..جوابًا ،قال له :أنا أهوّن عليك المسألة ،أخبرني عن أحد الملائكة له ثلاث أجنحة {أولي أجنحة مثنى و ثلاث و رباع } أخبرني عن ملك له ثلاثة أجنحة كيف يطير؟ جناحان عن اليمين ،جناح عن اليمين و جناح عن الشمال ، و الثالث أين هو ؟ و كيف يطير به و كيف يستقيم له طيران ؟ قال الشاب :انتهيت ،لأنه عاجز عن معرفة كيفية الملائكة و هي غيب عنا لم نرهم ،و تبين له أنه عاجز عن معرفة كيفيتها فكيف يخوض في الكلام بكيفية خالق المخلوقات رب العالمين تبارك و تعالى ،ولهذا التكييف باطل ، و لا يجوز للمسلم أن يخوض في كيفية أي صفة من صفات الله ،نثبت الاستواء و لا نخوض في كيفيته ،نثبت النزول و لا نخوض في كيفيته، نثبت اليد لله و لا نخوض في كيفيتها ،و من سألنا عن كيفية شيء من صفات الله تبارك و تعالى نقول له كما قال الإمام مالك :الاستواء معلوم ،و الكيف مجهول ،و الإيمان به واجب ،و السؤال عنه بدعة ، صفات الله معلومة ،كيفياتها مجهولة ،الإيمان بصفاته واجب، و السؤال عن كيفيات صفات الله تبارك و تعالى بدعة ،إذن هذه محاذير أربعة يجب على من آمن

بصفات الله تبارك و تعالى أن يؤمن بها و أن يثبتها لله تبارك و تعالى كما جاءت ،و أن ..كما وردت ، أيضا هنا يدخل في الحد حد الأسماء و الصفات و تعريفها أمرًا لابد من إضافته وهو النفي ،لأن الشيخ ذكر الإثبات قال إثبات ما أثبته الله لنفسه و ما أثبته له رسوله صلى الله عليه و سلم ، من غير تكييف و لا تعطيل ،و من غير تمثيل و لا تحريف، فأيضا يُضاف على ذلك و نفي ما نفاه الله عن نفسه و ما نفاه عنه رسوله صلى الله عليه و سلم من النقائص والعيوب ، و لهذا فإن توحيد الأسماء و الصفات قائم عند أهل السنة على أصلين الإثبات والنفي ، و لهذا يقول أهل العلم في حد توحيد الأسماء و الصفات و قاعدته التي عليها يُبنى قالوا : إثبات بلا تمثيل و تنزيه بلا تعطيل فهو قائم على أمرين على الإثبات وعلى النفي، إثبات للصفات بلا تمثيل وتنزيه لله تبارك و تعالى عن مشابهة المخلوقات بلا تعطيل لشيء من صفاته ،و لهذا تعريف توحيد الأسماء و الصفات أن يثبت لله تبارك و تعالى ما أثبته لنفسه وما أثبته له رسوله صلى الله عليه و سلم من الأسماء و الصفات من غير تحريف و لا تعطيل و من غير تكييف و لا تمثيل ،و أن ننفي عنه ما نفاه عن نفسه و ما نفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم من النقائص والعيوب و لعل الشيخ–رحمه الله – لم يذكر ذلك لأنه داخل في قوله أن نثبت لله ما أثبته لنفسه ، فسواء كان ما أثبته الله جل وعلا أسماء تدل على ذات ثبوتية أو كان ما أثبته الله تبارك و تعالى لنفسه أسماء تدل على صفات تنزيه ، مثل السبوح و القدوس والسلام ،فهذه أسماء حسنى نثبتها لله و هي دالة على تنزيه الله تبارك و تعالى عن النقائص و العيوب، و القاعدة هنا في الباب أن كل تنزيه لله تبارك وتعالى فهو متضمن ثبوتا كمال لله تبارك و تعالى بعد ذلك ذكر –رحمه الله – النوع الثالث من أنواع التوحيد وهو توحيد الألوهية و العبادة ،قال: وتوحيد الألوهية :أي يدخل فيما سبق توحيد الإلهية والعبادة ،توحيد الإلهية و يُقال له توحيد العبادة :هو إفراد الله تبارك و تعالى بأفعال العباد ،من الصلاة و الصيام والركوع والسجود و الدعاء و الذبح و النذر و التوكل و غير ذلك من أنواع العبادة ، توحيد الإلهية أو توحيد العبادة أن يُفرد تبارك وتعالى بأنواع العبادة أو أن يُخص تبارك و تعالى بأفعال العباد لا يُجعل معه شريك في شيء منها فلا يُدعى إلا الله ،و لا يُسأل إلا الله ،و لا يُستغاث إلا بالله و لا يُذبح إلا لله ،و لا يُركع ولا يُسجد إلا لله ، و لا يُصرف شيء من العبادة إلا له {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً }[الجن : ١٨] ،{ومَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات : ٥٦] ،فتوحيد الألوهية أو توحيد العبادة : هو أن يُفرد تبارك وتعالى بأنواع العبادة ، لاحظ فائدة مهمة ينبه عليها الشيخ في التعريف قال توحيد الألوهية والعبادة يُسمى بهذا و يُسمى بهذا ،قال: هو إفراد الله وحده بأجناس العبادة و أنواعها و أفرادها من غير إشراك به في شيء منها مع اعتقاد كمال ألوهيته ، توحيد

الألوهية له جانبان يتضحان لك بشكل جلي من تعريف ابن عباس –رضي الله عنهما –لاسم الله (الله) قال : الله هو ذو الألوهية و العبودية على خلقه أجمعين هكذا قال –رضي الله عنها – في تفسير ابن جرير و غيره ، قال : الله ذو الألوهية و العبودية على خلقه أجمعين ، ذو الوهية : المراد بها صفات الله تبارك و تعالى صفات الجمال و الجلال و العظمة التي استحق بها تبارك و تعالى أن يُؤله و أن يُعبد و أن يُخضع له و يُذل ،و هذا المعنى يشير له الشيخ عبد الرحمن بقوله في تمام كلامه هنا مع اعتقاد كمال ألوهيته أي أنه تبارك و تعالى كامل في أسمائه و صفاته و هذه هي الألوهية ،الألوهية هي صفات الكمال الثابتة لله التي استحق بها أن يُؤله و أن يُخضع له تبارك وتعالى و يُذل، و أن لا يُجعل معه شريك في العبادة ؛لأنه تبارك و تعالى المألوه المعبود ، المستحق لئن تُصرف له أنواع العبادة ، هذا ما يتعلق بتوحيد الألوهية ،و توحيد العبادة أي باعتبار ما يكون من العبد من أعمال وأفعال يستوجبها هذا التوحيد ،ألا وهي إفراد العبد ربه تبارك و تعالى بأنواع العبادة كلها من صلاة و صيام و حج و صدقة و دعاء و ذل و خضوع و هذا المشار إليه عند الشيخ بقوله :هو إفراده وحده بأجناس العبادة و أنواعها و أفرادها من غير إشراك به في شيء منها ،هذا توحيد العبادة إفراد الله تبارك و تعالى بالعبادة ،و العبادة : اسم جامع لكل ما يحبه الله و يرضاه من الأقوال و الأعمال الظاهرة و الباطنة ، و يجب أن يُفرد تبارك وتعالى بالعبادة كلها بجميع أنواعها وجميع أجناسها وجميع أفرادها ،فالعبادة كلها لله لا يُصرف أي شيء منها لغيره تبارك و تعالى ، و من جعل مع الله تبارك و تعالى شريكا في شيء من أنواع العبادة فهو مشرك بالله العظيم كافر بالله ، و الله تعالى يقول: {إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ } العبادة حق لله ،كما أنه تبارك و تعالى تفرد بالخلق و الرزق و الملك ،لا شريك له في شيء من ذلك ،فيجب أن يُفرد تبارك و تعالى وحده بأنواع العبادة كلها و بأفراد العبادة فلا يُجعل معه شريك في شيء منها ،قد مر معنا بعض الآيات {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً } {إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ } { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} { وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً} { وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ } { وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} و الآيات في هذا المعنى كثيرة جدا ،قال : وتوحيد الألوهية والعبادة :وهو إفراده وحده بأجناس العبادة وأنواعها و أفرادها من غير إشراك به في شيء منها مع اعتقاد كمال ألوهيته .

الطالب :قال :فدخل في توحيد الربوبية إثبات القضاء و القدر و أنه ما شاء الله كان و ما لم يشأ لم يكن ،و أنه على كل شيء قدير ،وأنه الغني الحميد و ما سواه فقير إليه من كل وجه .

الشيخ : قال : فدخل في توحيد الربوبية ،هذا شروع من الشيخ –رحمه الله– لذكر بعض التفاصيل المتعلقة بأنواع التوحيد الثلاثة ،و لهذا سيذكر فيما سيأتي من كلامه –رحمه الله– سيذكر ما يدخل تحت كل نوع من هذه الأنواع ،فبدأ أولا بتوحيد الربوبية، قال : فدخل في توحيد الربوبية إثبات القضاء والقدر، و أنه ما شاء الله كان و ما لم يشأ لم يكن ،لماذا الإيمان بالقضاء و القدر داخل في توحيد الربوبية ؟ الإمام أحمد –رحمه الله– يقول : القدر قدرة الله ،القدر قدرة الله تبارك و تعالى و الإيمان بقدرة عز و جل ،وأنه على كل شيء قدير و أن ما شاء الله كان و ما لم يشأ لم يكن ،هذا إيمان بربوبية الله و أن الأمور كلها بتسخيره و تدبيره و بمشيئته تبارك و تعالى ،وأن مشيئته نافذة و قدرته تبارك و تعالى شاملة ، إن الله على كل شيء قدير ،فالإيمان بالقضاء و القدر داخل في الإيمان بربوبية الله جل وعلا ،و ربوبية الله تبارك و تعالى الإيمان بها من الإيمان بالله ،و لهذا عندما تُذكر أصول الإيمان في القرآن الكريم مجتمعة لا يُذكر معها الإيمان بالقدر–= لأنه داخل معها في الإيمان بالله عز و جل ،مثل قوله تعالى :{ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ} ذكر أصولا خمسة و لم يذكر الإيمان بالقدر ؛لأنه داخل في الإيمان بالله ، و أيضا قول الله تعالى :{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِيَ أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً }[النساء : ١٣٦] ،و القدر لم يُذكر ؛لأنه داخل في الإيمان بالله ، و قول الله تعالى :{ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ } [البقرة : ٢٨٥] ذكر الأصول الخمسة و لم يذكر الإيمان بالقدر لأنه داخل في الإيمان بالله ،فهو في هذه الآيات لم يُذكر ؛لأنه داخل الإيمان بالقدر من الإيمان بربوبية الله و الإيمان بربوبية الله من الإيمان بالله تبارك و تعالى، و في بعض النصوص كما في حديث جبريل المشهور أفرده بالذكر اهتمامًا بشأنه وعدّه أصلا مستقلا قال :أصول الإيمان أن تؤمن بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر و أن تؤمن بالقدر خيره و شره ،فذكر القدر أصلا مستقلا اهتماما بالقدر و اهتماما بأمره و لأنه له مراتب مهمة خاصة به لا إيمان بالقدر إلا بالإيمان بها جاء ذكرها في كتاب الله و في سنة نبيه عليه الصلاة و السلام ،و لأجل هذا ذكر مستقلا و إلا هو داخل في الإيمان بالله ،و من لا يؤمن بالقدر لا يؤمن بالله تبارك و تعالى ،الإيمان بالقدر قال الإمام أحمد : القدر قدرة الله ،أيضا مما يوضح هذا المعنى قو ابن عباس –رضي الله عنهما – قال: القدر نظام التوحيد ،فمن وحّد الله و كذب بالقدر نقض تكذيبه توحيده ، لا يمكن أن يستقيم توحيد مع تكذيب بالقدر، قال :الإيمان بالقدر نظام التوحيد ،فمن وحّد الله و كذب بالقدر

نقض تكذيبه توحيده ،تكذيبه للقدر ينقض توحيده لله ، لا يكون موحدًا لله من لا يؤمن بأقدار الله تبارك وتعالى ، وبأنه ما شاء الله كان و ما لم يشأ لم يكن ،قال: فدخل في توحيد الربوبية إثبات القضاء و القدر ، و أنه ما شاء الله كان و ما لم يشأ لم يكن ،القضاء و القدر لفظان وردا في نصوص الشرع وهما من الألفاظ التي قال عنها أهل العلم إذا اجتمعت افترقت و إذا افترقت اجتمعت ، إذا اجتمعت أي في الذكر افترقت في المعنى ،و إذا افترقت في الذكر اجتمعت في المعنى ، القضاء و القدر إذا اجتمعا في الذكر فلكل واحد منهما معنى خاص و إذا انفردا كل واحد منهما بالذكر شمل معنى الآخر ،كما قال أهل العلم إن من الأسماء ما يكون شاملا لمسميات متعددة عند إفراده و إطلاقه ،فإذا قُرن ذلك الاسم بغيره صار دالا على بعض تلك المسميات ،و الاسم المقرون به دال عل باقيها ،وهناك ألفاظ شرعية كثيرة بهذه المثابة ، و القضاء و القدر إذا أطلق كل واحد منهما مفرد عن الآخر شمل معنى الآخر، و إذا ذكرا معًا فإن المراد بالقضاء الإبرام السابق للمخلوقات والكائنات و ما سيوجده الله تبارك و تعالى ،و القدر هو إنفاذ ذلك المبرم ،و قيل العكس أن السابق القدر و يأتي بعده القضاء ،وعلى كل هما لفظان إذا اجتمعا في الذكر افترقا في المعنى، و إذا افترقا في الذكر اجتمعا في المعنى أي: شمل كل منهما معنى الآخر ، و الإيمان بالقضاء و القدر له أربع مراتب لا يكون مؤمن بالقدر إلا من آمن بها وهي : العلم ،والكتابة ،و المشيئة ،والإيجاد ، الإيمان بالعلم بأن الله عز و جل علم كل شيء علم ما كان و ما سيكون و ما لم يكن لو كان كيف يكون أحاط بكل شيء علما ، و أحصى كل شيء عددا ، و الإيمان بالكتابة أن الله تبارك و تعالى كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات و الأرض بخمسين ألف سنة ، والإيمان بالمشيئة أن ما شاء الله كان و ما لم يشأ لم يكن {وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [التكوير : ٢٩] و الإيمان بالخلق أن الله خالق لكل شيء ،كما قال عز و جل :{ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ } قال جل و علا :{ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} [الصافات : ٩٦] فهذه مراتب القدر التي لا إيمان بالقدر إلا بالإيمان بها ، ولو لاحظ أن هذه المراتب الأربعة كلها تتعلق بذكر أوصاف للرب و أفعال له جل و علا ،وهذا مما يبين أن الإيمان بالقدر داخل في التوحيد العلمي كما أشار الشيخ فقال :ودخل في توحيد الربوبية –وهو توحيد علمي– إثبات القضاء و القدر و أنه ما شاء الله كان و ما لم يشأ لم يكن ،و أنه على كل شيء قدير ،هنا أشار الشيخ –رحمه الله – إلى جانبين في باب الإيمان بالقدر وهما :الإيمان بالمشيئة النافذة ما شاء الله كان و ما لم يشأ لم يكن ،و القدرة الشاملة إن الله على كل شيء قدير ،فالله تبارك و تعالى ما شاء الله كان ما شاءه لابد أن ينفد لابد أن يقع كما شاء جل و علا وهو جل و علا على كل شيء قدير، و إذا أردت أن تعرف الفرق بين المشيئة النافذة و القدرة الشاملة تأمل في مثل الأمور التي قضى الله تبارك و

تعالى ألا تكون ،مثل إذا دخل أهل النار النار وقالوا { رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ} ما الذي سيحدث عندما يقول هؤلاء هذه الكلمة ؟هل يُعادون إلى الدنيا مرة ثانية ؟ الجواب لا ،مشيئة الله تنفد أن يبقوا في النار خالدين فيها أبد الآباد ،لكنه قادر جل و علا قادر على أن يعيدهم للدنيا ثالثة و رابعة و خامسة و سادسة إن الله على كل شيء قدير ،فالمشيئة هنا نافدة في أن يبقوا في النار أبد الآباد ،و لكنه قادر على إعادتهم للدنيا و لم يفعل ذلك ،فإذن نؤمن في باب الإيمان بالقدر بالمشيئة النافدة ،و نؤمن أيضا بالقدرة الشاملة أن الله على كل شيء قدير و أن ما شاءه تبارك و تعالى لابد أن ينفد و أن يقع طبقا لما شاء سبحانه و تعالى و أن ما شاء الله كان و ما لم يشأ لم يكن ،و أنه على كل شيء قدير ،و أنه الغني الحميد ،و ما سواه فقير إليه من كل وجه ،و أنه الغني أي: عن مخلوقاته من كل وجه جل وعلا { يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ }[فاطر : ١٥] في الحديث القدسي يقول : ((يا عبادي إنكم لن تبلغوا نفعي فتنفعوني ،و لن تبلغوا ضري فتضروني )) فهو جل وعلا غني عن العباد من كل وجه ،و العباد كلهم فقراء إليه من كل وجه لا غنى لهم عنه طرفة عين ،فمن الإيمان بربوبية الله تبارك و تعالى أن يؤمن الإنسان بفقر العباد إليه و احتياجهم إليه من كل وجه ،و أنه المتصرف فيهم ،المدبر لأحوالهم و شؤونهم ،و أن مشيئته فيهم نافدة ،و أنه تبارك و تعالى على كل شيء قدير ،قال :و أنه الغني الحميد ، الحميد هذا من الأسماء الدالة على أوصاف عديدة ،و أهل العلم ذكروا في قاعدة فهم أسماء الله أن من أسماء الله تبارك و تعالى ما ليس دال على معنى مفرد ،و إنما دال على معانٍ كثيرة مثل السيد و الصمد و الحميد و المجيد و أسماء عديدة من هذا القبيل ،فاسم الله تبارك و تعالى الحميد دال على الحمد إثبات الحمد لله تبارك و تعالى لكمال أسمائه و كمال صفاته و كمال أفعاله تبارك و تعالى ،قال : و أنه الغني الحميد و ما سواه فقير إليه من كل وجه ،أي أ، مخلوقات الله تبارك و تعالى كلها فقيرة إلى الله سبحانه و تعالى من كل وجه لا غنى لها عنه طرفة عين ،و التأمل في هذا المعنى الذي يقرره المصنف –رحمه الله – يُعد بوابة و مدخلًا عظيمًا لتوحيد العبادة من اعتنى بهذا الأمر و فهمه على وجهه و اعتنى به عناية دقيقة كان بوابة له و مدخلا لئن يوحد الله عز و جل و يفرده بالذل و الخضوع و الركوع و السجود و الدعاء و الرجاء و جميع أنواع العابدة .

والله تعالى أعلم و صلى الله و سلم على عبد الله و رسوله نبينا محمد و على آله و صحبه أجمعين .